

## طريق التقدم

لمرجع الديني الراحل  
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

كلمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنُّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرة في حلِّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحية، وبثِّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا

من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته رَضِيَ بتهديتها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسداً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة، لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءاً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدُّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧- ١٨.

والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً  
بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز  
بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة  
وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية  
ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي  
الاختصاص ك(الأصول) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهما  
الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن ينفع بذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

### الحكمة والعلم

قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>. في هذه الآية الكريمة إطرء على النبي داود وعلى النبي سليمان بن داود (على نبينا وآله وعليهما السلام) على أمرين:

١: على كفاءتهما العلمية وما آتاهما الله من علم وحكمة.

٢: وعلى كفاءتهما العملية وما أبدياه من عمل وتسييح.

مما يفيد: أن معيار التقدم، سواء التقدم الفردي، أم التقدم الاجتماعي، وسواء التقدم المعنوي أم التقدم المادي، فإنه إنما يتم بالعلم وبالعمل المتعقل وفق العلم. وقوله تعالى في آخر الآية ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ هو أيضاً تأكيد لهذا المعنى، وذلك بيان يأتي قريباً، إن شاء الله تعالى.

### تفسير الآية الكريمة

جاء في تفسير الآية المباركة: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: ﴿عَلَّمْنَا﴾ ﴿سُلَيْمَانَ﴾

(١) سورة الأنبياء: ٧٩.

كيفية الحكومة (القضاء) بين الراعي والزراع ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ، وَكُلًّا﴾ من داوود وسليمان ﷺ ﴿آتَيْنَا﴾ أي أعطيناه ﴿حُكْمًا﴾ في الخصومات، أو حكماً على الناس ﴿وَعِلْمًا﴾ وكان تخصيص سليمان ﷺ بقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ لأن المقصود كان إظهار فضل سليمان ﷺ، ليعرف بنو إسرائيل من هو وصي داود ﷺ؟، كما في الأحاديث<sup>(١)</sup> ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ﴾ ومعنى التسخير السير معه في التسييح، فإنك إذا عودت طيراً أن يتكلم بما تكلمت به أنت، يقال: إنك سخرت ذلك الطير، فكأنه صار طوع إرادتك، يتكلم إذا تكلمت، ويسكت إذا سكت ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ الجبال معه، والإتيان بضمير العاقل؛ لأن التسييح فعل العاقل ﴿وَالطَّيْرَ﴾ عطف على الجبال، أي وسخرنا

---

(١) فقد روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل رجل كان له كرم، ونفشت فيه غنم لرجل آخر بالليل، وقضمته وأفسدته، فجاء صاحب الكرم إلى داود ﷺ فاستعدى على صاحب الغنم، فقال داود ﷺ: اذهبوا إلى سليمان ﷺ ليحكم بينكما، فذهبوا إليه، فقال سليمان ﷺ: إن كانت الغنم أكلت الأصل والفرع، فعلى صاحب الغنم أن يدفع إلى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها، وإن كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فإنه يدفع ولدها إلى صاحب الكرم، وكان هذا حكم داود ﷺ. وإنما أراد أن يعرف بني إسرائيل أن سليمان ﷺ وصيه بعده، ولم يختلفا في الحكم، ولو اختلف حكمهما لقال: وكنا لحكمهما شاهدين».

بحار الأنوار: ج ١٤ ص ١٣١ ب ١٠ ح ٢.

معه الطير، فإنها كانت تسبح بتسبيحه. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن داود خرج يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلا جاوبه» (١) ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ لذلك، وكان المراد بذلك أن هذا الأمر ليس عجباً من قدرتنا، وإن كان مستغرباً عندكم (٢).

## وفي مجمع البيان

وجاء في تفسير «مجمع البيان» (٣): ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ أي: علّمناه الحكومة في ذلك. قيل: إن سليمان عليه السلام قضى بذلك وهو ابن إحدى عشرة سنة. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: «أنه - سليمان عليه السلام - قضى بحفظ المواشي على أربابها ليلاً، وقضى بحفظ الحرث على أربابه نهاراً» ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي: وكل واحد من داود وسليمان عليهما السلام.

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٩٩ المجلس ٢١ ح ٨.

(٢) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٧ ص ٥٨ سورة الأنبياء عليهم السلام.

(٣) مجمع البيان لعلوم القرآن، أو (مجمع البيان في تفسير القرآن) للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي المتوفى (٥٤٨هـ)، عين كل سورة أنها مكية أو مدنية، ثم ذكر مواضع الاختلاف في القراءة، ثم ذكر اللغة والعربية، ثم ذكر الإعراب ثم الأسباب والنزول، ثم المعنى والتأويل والأحكام والقصص، ثم ذكر انتظام الآيات. وهذا تفسيره الكبير، وله تفسير وسيط موسوم بـ «جوامع الجامع» و تفسير صغير موسوم بـ «الكاف الشاف». وقد لخص التفسير بعض العلماء، منه: مختصر المجمع الموسوم بـ «زبدة البيان» للبياضى، واختصار الزبدة هذه للكفعمي، وتلخيص المجمع أيضاً للشيخ شرف الدين يحيى البحراني. انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ٢٠ ص ٢٤ الرقم ١٧٧٣.

أعطيناه حكمة. وقيل: معناه النبوة، وعلم الدين، والشرع. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ قيل: معناه سيرنا الجبال مع داود ﷺ حيث سار، فعبّر عن ذلك بالتسييح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو إلى تسييح الله، وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به. وكذلك تسخير الطير له تسييح، يدل على أن مسخرها قادر لا يجوز عليه ما يجوز على العباد. وقيل: إن الجبال كانت تجاوبه بالتسييح، وكذلك الطير يسبح معه بالغداة والعشي، معجزة له. ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على فعل هذه الأشياء، ففعلناها دلالة على نبوته<sup>(١)</sup>.

### عودة إلى الآية الكريمة

وهناك معنى آخر للآية الكريمة، فإن قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ جملة وجيزة من حيث مفرداتها وعدد حروفها، لكنها كبيرة واسعة، وعظيمة شاملة من حيث معانيها ودلالاتها، وكذلك هو شأن كل جملة في كل آية من آيات القرآن الحكيم، إن «كان» في ﴿كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ من الأفعال الناقصة وأسمها معها، وهو الضمير «نا»، وخبرها ﴿فَاعِلِينَ﴾ فإن الله سبحانه وتعالى يبين في هذه الكلمة أن تسييح الجبال وتسييح الطير كان تجاوباً مع داود (على نبينا وآله وعليه السلام) وتبعاً لتسييحه ومسبباً عنه، وهذا مصداق من مصاديق قانون الأسباب والمسببات،

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٧ ص ١٠٤ سورة الأنبياء ﷺ.

فيشير عزوجل إلى أن الدنيا جعلها دار أسباب ومسببات، فتسيح الجبال والطير هنا مسبب من تسيح داود عليه السلام مع أن الله قادر على كل شيء فيقول للشيء: كن فيكون. ويؤيده قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (١).

فقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ﴾ أمر الثواب والعقاب والسعادة والخسران ﴿بِأَمَانِيكُمْ﴾ وهو جمع أمنية، بمعنى رغبة النفس، فلا ينال الإنسان خيراً بالأمني فيما إذا كان عمله خلاف ذلك، والخطاب للمسلمين ﴿وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ ففي (المجمع):

قيل: تفاخر المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم. فقال المسلمون: نبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب، وديننا الإسلام، فنزلت الآية، فقال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء. فأنزل الله الآية التي بعدها ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (٢) ففلح المسلمون، و﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فإن الذي ينفع عند الله هو العمل الصالح، أما الأنساب والأحساب وما أشبهه، فلا تنفع إلا بقدر ما

---

(١) سورة النساء: ١٢٣.

(٢) سورة النساء: ١٢٤.



يرجع إلى العمل أيضاً، كما قال عليه السلام: «المرء يُحفظ في ولده»<sup>(١)</sup>. ولذا من عمل عملاً سيئاً جوزي به. ومما ذكرنا تبين أن حفظ نسب النبي عليه السلام إنما يرجع إلى عمل وأتعب النبي عليه السلام والأئمة عليهم السلام<sup>(٢)</sup>.

لذا فإن الراغب إلى شيء يلزم أن يسعى لتحقيقه عبر أسبابه الطبيعية، التي أمر الله اللزوم بها، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن»<sup>(٣)</sup>.

فالتقدم في هذه الدنيا لا يكون إلا باتخاذ أسبابه، لأن سنة الكون سنة الأسباب والمسببات.

### مقومات التقدم

وهنا لا بأس بأن نشير إلى مقومات التقدم، وهي أمور عديدة، منها ما يلي:

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ١٠٣ احتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام على القوم لما منعوها فذك، وقد قالت عليها السلام: «.. يا معشر النقيبة، وأعضاء الملة، وحضنة الإسلام، ما هذه الغميمة في حقي، والسنة عن ظلامي؟! أما كان رسول الله عليه السلام أبي يقول: المرء يحفظ في ولده. سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول..».

(٢) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٥ ص ١٠٧ سورة النساء.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٨٣ باب معرفة الإمام عليه السلام، والرد إليه ح ٧.

## المقوم الأول: العلم

إن العلم في مقدمة العوامل التي تسبب تقدم الفرد، وبالتالي: تقدم المجتمع، ومتى ما تواجد العلماء في مجتمع، وأتلف ذلك المجتمع حول علمائه واحتفوا بهم، إلاّ وسجل ذلك المجتمع لنفسه تقدماً باهراً وزاهراً.

مثلاً: قوم نبي الله يونس عليه السلام الذين فازوا بالنجاة من العذاب والحزى في الدنيا - بحسب القرآن الحكيم - وكان ذلك أكبر تقدم حازوا عليه، إنما كان ذلك نتيجة إلتفاهم بالعالم الذي كان عندهم واتباعهم له ولتعليمه<sup>(١)</sup>.

---

(١) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما رد الله العذاب إلا عن قوم يونس، وكان يونس يدعوهم إلى الإسلام فيأبوا ذلك، فهم أن يدعو عليهم، وكان فيهم رجلان: عابد وعالم، وكان اسم أحدهما مليخا، والآخر اسمه روبيل، فكان العابد يشير على يونس عليه السلام بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه؛ ويقول: لا تدع عليهم فإن الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده. فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم، فدعا عليهم فأوحى الله عز وجل إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا، في شهر كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، فلما قرب الوقت خرج يونس عليه السلام من بينهم مع العابد، وبقي العالم فيها، فلما كان في ذلك اليوم نزل العذاب فقال العالم لهم: يا قوم، افرغوا إلى الله فلعله يرحمكم، ويرد العذاب عنكم، فقالوا: كيف نصنع؟ قال: اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة، وفرقوا بين النساء والأولاد، وبين الإبل وأولادها، وبين البقر وأولادها، وبين الغنم وأولادها، ثم ابكوا وادعوا. فذهبوا وفعلوا ذلك، وضجوا وبكوا، فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب، وفرق العذاب على الجبال،



ومثلاً: الشعب السويسري، فإنهم لا يملكون معادن الثروة تحت الأرض، ولكنهم يملكون علماء فوق أرضهم، يتقنون علم صنع الساعات اليدوية الممتازة وغيرها، فتقدمت بلادهم وتقدم مجتمعهم بعلمائهم، بينما تأخرت البلاد التي تملك معادن الثروة تحت الأرض ولا يتبع أهلها علماءهم.

وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة الدالة على أن العلم والعلماء، والوعي والثقافة، هو المقوم الأول في طريق التقدم والرفق. وهكذا تقدم الغرب بعلمائه في مختلف المجالات على بلاد المسلمين.

### العلم في الآيات والروايات

للعلم والجد والاجتهاد منزلة عظيمة في القرآن الكريم والروايات الشريفة، وما أكثر الآيات والأحاديث في هذا الباب، وقد أشرنا إلى بعضها في العديد من كتبنا<sup>(١)</sup>.



وقد كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس عليه السلام لينظر كيف أهلكتهم الله، فرأى الزارعين يزرعون في أرضهم! قال لهم: ما فعل قوم يونس؟ فقالوا له، ولم يعرفوه: إن يونس دعا عليهم فاستجاب الله له ونزل العذاب عليهم، فاجتمعوا وبكوا ودعوا فرحمهم الله، وصرف ذلك عنهم، وفرق العذاب على الجبال...». تفسير القمي: ج ١ ص ٣١٧ سورة يونس.

(١) انظر كتاب (إلى الحوزات العلمية) للإمام الشيرازي رحمته الله الطبعة الثانية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (١).

وقال جل اسمه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم مصباح العقل وينبوع الفضل» (٤).

وقال عليه السلام: «إن كنتم للنجاة طالبين فافرضوا الغفلة واللهو وألزموا الاجتهاد والجد» (٥).

وقال عليه السلام: «العلم يدل على العقل، فمن عقل علم» (٦).

وقال عليه السلام: «أعون الأشياء إلى تزكية العقل التعليم» (٧).

---

(١) سورة القصص: ٨٠.

(٢) سورة المجادلة: ١١.

(٣) سورة الحج: ٥٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣ ق ١ ب ١ ف ٢ ح ٧١.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٦ ق ٣ ب ٢ ف ٤ ح ٥٧٤٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣ ق ١ ب ١ ف ٢ ح ٧٢.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣ ق ١ ب ١ ف ٢ ح ٧٣.

وقال الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام: «لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال عليه السلام: أن أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وأن أحبّ عبيدي إليّ، التقيّ الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إن الذي يعلم العلم منكم له أجرٌ مثل أجر المتعلّم، وله الفضل عليه، فتعلموا العلم من حملة العلم، وعلموه إخوانكم كما علمكموه العلماء»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: .. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام أيضاً: «من تعلم العلم وعمل به، وعلم الله، دعي في ملكوت السماوات عظيماً، فقيل: تعلم الله، وعمل الله، وعلم الله»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٥ باب ثواب العالم والمتعلم ح ٥.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٣٥ باب ثواب العالم والمتعلم ح ٢.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٣٤ باب ثواب العالم والمتعلم ح ١.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٥ باب ثواب العالم والمتعلم ح ٦.

وقال عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أيضاً: «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم»<sup>(١)</sup>.

وقال عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> قال: «يعني بالعلماء، من صدق فعله قوله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم»<sup>(٣)</sup>.

### من أسباب تأخر الأمم

ثم إن الجهل وعدم الوعي، وفقد العلم والعلماء، وقلة ثقافة الحياة، من أهم أسباب تأخر الفرد والمجتمع، ويؤدي إلى تقهقر الأمم وسقوطها، بل إلى موتها وفنائها.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبُعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبُعْثِ ۖ وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٦ باب صفة العلماء ح ١.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٣٦ باب صفة العلماء ح ٢.

(٤) سورة محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ١٦.

(٥) سورة الروم: ٥٦.

وقال عز وجل: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ الْهَيْئَةِ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (١).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الجهل في الإنسان أضر من الأكلة في البدن» (٢).

وقال عليه السلام: «لا غنى لجاهل» (٣).

وقال عليه السلام: «لا فقر أشد من الجهل» (٤).

وقال عليه السلام: «من أشد المصائب غلبة الجهل» (٥).

### المقوم الثاني: العمل

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، ويأخذان منك فخذ منهما» (٦).

إن العمل هو الركن الأساسي - بعد العلم - في تقدم الفرد والمجتمع. بل يمكن أن يقال: إن العلم والعمل توأمان لا ينفصلان، ورضيعا لبان لا ينفك بعضهما عن البعض في تحقيق التقدم وتقومه، فإن كل فرد

---

(١) سورة الأحقاف: ٢٢-٢٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٧٣ ق ١ ب ١ ف ١٦ ح ١٠٩٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٧٣ ق ١ ب ١ ف ١٦ ح ١١١١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٧٣ ق ١ ب ١ ف ١٦ ح ١١١٠.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٧٣ ق ١ ب ١ ف ١٦ ح ١١٠٧.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥١ ق ١ ب ٦ ف ٤ ح ٢٧٨٩.

وكذلك كل مجتمع يريد الرقي والتقدم، لا بدّ له من توفير هذين العاملين معاً.

وربما يقال: إن العلم بنفسه لا يتحقق - عادةً - إلا بالعمل لتحصيله، ولا يتحصّل العلم إلا بالجد والاجتهاد، لأن أكثر المعلومات اكتسابية.

وسابقاً كانت الأمة الإسلامية مجدة في تحصيل العلوم وتربية العلماء والاحتفاف بهم والأخذ عنهم، ولذلك تطورت الأمة حتى سبقت جميع الأمم في مختلف مجالات الحياة فأصبح المسلمون آباء العلم الحديث.

ولكن للأسف نجد في يومنا هذا، أن كثيراً من المسلمين تخلوا عن العلم والعلماء، وهم يحبون أن تتحقق الأمور بالأمني.

فهل يعقل أن يصبح الإنسان طبيياً بدون دراسته للطب؟!

أو يطمح أن يكون عالماً مجتهداً بلا دراسة لمقدمات الاجتهاد؟!

أو يرجو أن يصبح بلده وفيه الخير، قوي الاقتصاد، وتملؤه العامل والمصانع، دون أن يقدم لذلك تخطيطاً وعملاً؟!

إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ أيها المسلمون، فإن تحقق الأمور ليست بالأمني والآمال، بل بالفكر والنظر، والعلم والعمل، والتخطيط والتطبيق، وبسلوك الأسباب والمقدمات للوصول



إلى المسببات وذي المقدمات والنتائج<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا أَمَانِيٌّ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾  
فليس الأمر بأمانيتهم أيضاً، أي: أمني أهل الكتاب من اليهود  
والنصارى والمجوس، ولا غيرهم، فليتمنوا الرقي والتقدم، ولكن هل  
يتحقق لهم شيء من ذلك؟

الجواب: كلا ثم كلا.

### الأمني بضاعة النوكي

إن الاعتماد على التمني والاتكال على الأمنيات، ناتج من قلة  
الوعي، أو فقدانه؛ لأن الإنسان الذي يعقل ويعي الأمور يعرف أن  
لكل شيء سبباً، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك والاتكال على  
المنى فإنها بضائع النوكي»<sup>(٢)</sup>. إن الأمني ليست بضاعة يمكن الاعتماد  
عليها، وإنما هي بضاعة الحمقى الذين لا يعقلون الأمور ولا يعونها. إن  
القرآن الحكيم يشير إلى قصة ذي القرنين بقوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾<sup>(٣)</sup>

---

(١) فتحقق الأمور مرهون بأمرين: ١. الأمر الذهني: الطموح الفكري المستتبع لتخطيط  
والتنسيق، ٢. الأمر الخارجي: العمل التطبيقي المستلزم سلوك الأسباب والمقدمات،  
هذا ولا يخفى أن الاعتماد على التمني بدون العمل والتطبيق الخارجي ناتج من قلة  
الوعي، وإلا فالطموحات الكبيرة - التي يتبعها التخطيط والعمل خارجاً - هي أول  
درجة في سلم الترقى والصعود، ومن دون الطموح لا يمكن أن يكون الإنسان  
متقدماً.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٢ ق ٣ ب ٣ ف ٧ ح ٧٢٠٩.

(٣) سورة الكهف: ٨٩.

ليعلمنا بأن الدنيا دار أسباب ومسببات، وأنه يلزم التحرك على ضوء الأسباب والعلل، وفق القوانين والسنن الكونية، التي سنّها الباري تعالى لهذا الكون، وجعلها في هذه الحياة، أما الإنسان غير المتعقل وغير الواعي، فإنه يريد أن يحقق آماله بالأمنيات المجردة وعبر الأساطير الفارغة التي يزعّمها، أملاً منه على أنها يمكن أن تساوي يوماً ما التحقق الواقعي الخارجي، ولكنه هيهات وهيهات.

### الأماني والآمال في الروايات

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله سبحانه ليغض الطويل الأمل السيئ العمل»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام: «الأماني بضائع النوكى، والآمال غرور الحمقاء»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: «الأماني تخدعك وعند الحقائق تخذلك»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام: «من اتكل على الأماني مات دون أمله»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام: «أكذبوا آمالكم واغتمموا آجالكم بأحسن أعمالكم، وبادروا مبادرة أولي النهى والألباب»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٢ ق ٣ ب ٣ ف ٧ ح ٧٢١٦.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ٤٧ ب ١٦ ضمن ح ١٤٧٠٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٣ ق ٣ ب ٣ ف ٧ ح ٧٢٤٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٢ ق ٣ ب ٣ ف ٧ ح ٧٢٢٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٣ ق ٣ ب ٣ ف ٧ ح ٧٢٦٧.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «تجنبوا المنى فإنها تذهب بهجة ما خولتم، وتستصغرون بها مواهب الله تعالى عندكم، وتعقبكم الحسرات فيما وهمتم به أنفسكم»<sup>(١)</sup>.

### عواقب الاعتماد على التمني

إن الاعتماد على التمني فحسب، يورث حالة التواكل عند الإنسان والتخلي عن مسؤولياته، فكثير من المسلمين يرون بأن الشخص الفلاني، أو الجيش، أو الحزب، أو النظام هو المكلف بإنقاذ بلده، أي: إنه ينتظر النتائج من غيره دون عمل ومقدمات من نفسه، وهذا خطأ فادح؛ لأن ابتعاد المسلمين عن العمل وإلقاء المسؤولية على الآخرين نوع من العيش في عالم الأساطير والأحلام، ففي الحديث الشريف: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلمها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»<sup>(٢)</sup>.

وكما أن عالم الأساطير والأحلام لا يتمخض عن نتيجة، فكذلك الاتكال على الأمنيات والآمال فإنه لا يمكن فيها الحصول على نتيجة

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٥ باب كراهية الكسل ح ٧.

(٢) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٨٤ ب ٥١ في أخبار النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام.

واقعية في آخر الأمر، وذلك لأن الله تعالى جعل الحياة حياة هادفة جادة، وقدّر لها أن تسير وفق الأسباب والعلل الكونية بدقة وانتظام؛ لذا علينا أن نكون هادفين وجادين، وفي أعلى مستويات الوعي والإدراك لما يجري حولنا، ثم على ضوئها يلزم أن نفكر ونخطط، ثم نبدأ بالعمل الصحيح وفق ذلك وبالتحرك المخلص والجد والنشاط، إذ من الواضح أن الطموح والأمني مجردة عن التطبيق والعمل لا تحقق شيئاً من الرقي والتقدم، وإنما الذي يحقق الرقي هو الطموح والأمني المستتبعه للتطبيق والعمل.

### الكسل عمل سوء

وهكذا يكون الكسل مذموماً عند العقلاء وفي الشريعة الإسلامية، وهو من مصاديق العمل السوء.

فإنه ليس المراد من «العمل السوء» في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup> هو: شرب الخمر فحسب، أو تعاطي القمار فقط، بل المراد منه: معناه الأعم الشامل حتى لمثل الكسل والغفلة. فقد جاء في الدعاء الوارد والمأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: «وأعدنا من السامة والكسل والفترة»<sup>(٢)</sup>.

وفي دعاء آخر عن الإمام السجاد عليه السلام: «اللهم اقض لي في الأربعاء

(١) سورة النساء: ١٢٣.

(٢) مصباح الكفعمي: ص ٥٥٠ ف ٤٤ فيما يعمل في شهر شعبان.

أربعاً: اجعل قوتي في طاعتك، ونشاطي في عبادتك، ورغبتي في ثوابك، وزهدي فيما يوجب لي أليم عقابك، إنك لطيف لما تشاء»<sup>(١)</sup>.  
هذه الآية الشريفة تتوعد بالجزاء لعمل السوء، والجزاء يكون دنيوياً وأخروياً، والجزاء الدنيوي لعمل السوء هو التأخر والفشل والحرمان وما أشبه.

فإذا عمل الإنسان سوءاً - بالمعنى الأعم الشامل للكسل أيضاً - فسيجزى به، ويتأخر في الحياة، وتنصب عليه المشاكل والويلات، وذلك كطالب مدرسة يذهب إلى قاعة الدرس ولكنه من دون تحمل للمسؤولية وجد واجتهاد، فيقضي وقته في فراغ وكسل، ولا يحفظ دروسه، ولم يقم بتحضيرها ولا بإعدادها، ولا مراجعتها ولا المباحثة فيها، ولم يسهر لتدارك ما فاته من أمر حفظها وتحصيلها، فإن عمله هذا مندرج أيضاً في دائرة «عمل السوء» فإنه إذا كسل كان عاقبته أنه يتأخر ويفشل؛ لأن كل من عمل السوء يجزى به، والسوء - كما قلنا - لا يعني المعصية والعمل القبيح فقط، بل هو شامل لكل ما هو خارج عن دائرة الخير والفضيلة وداخل في دائرة الشر والرذيلة كالكسل والخمول.

### الكسل والضجر في الروايات

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الأشياء لما ازدوجت ازدوج

---

(١) مصباح الكفعمي: ص ١٢٤ دعاء يوم الأربعاء للإمام السجاد عليه السلام.

الكسل والعجز، فتتجا بينهما الفقر»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إني لأبغض للرجل أن يكون كسلاناً عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «عدو العمل الكسل»<sup>(٣)</sup>.  
وقال عليه السلام أيضاً: «من كسل عن طهوره وصلاته فليس فيه خيرٌ لأمر آخرته، ومن كسل عما يصلح به أمر معيشته فليس فيه خيرٌ لأمر دنياه»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام أيضاً: «لا تستعن بكسلان، ولا تستشيرن عاجزاً»<sup>(٥)</sup>.  
وكتب عليه السلام إلى رجل من أصحابه: «أما بعد، فلا تجادل العلماء، ولا تمار السفهاء فيبغضك العلماء، ويشتمك السفهاء، ولا تكسل عن معيشتك، فتكون كلاً على غيرك، - أو قال - على أهلك»<sup>(٦)</sup>.  
وقال عليه السلام أيضاً: «إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل سوء،

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٦٠ ب ١٨ ح ٢١٩٧٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٥٨ ب ١٨ ح ٢١٩٧٣.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٨٥ باب كراهية الكسل ح ١.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٨٥ باب كراهية الكسل ح ٣.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٦٠ ب ١٨ ح ٢١٩٧٨.

(٦) الكافي: ج ٥ ص ٨٦ باب كراهية الكسل ح ٩.

إنه من كسل لم يؤد حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق» (١).  
وعن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام قال: «قال أبي عليه السلام  
لبعض ولده: إياك والكسل والضجر؛ فإنهما يمنعانك من حظك من  
الدنيا والآخرة» (٢).

### سفرة إلى دولتين

سافر أحد كبار التجار إلى دولتين أجنبيتين أحدهما أكثر تطوراً  
وتقدماً من الأخرى، وعندما عاد من السفر ذهبت لزيارته وسألته: ما  
هي أسباب التقدم والتأخر التي لمستها في هاتين الدولتين، وكيف  
تأخرت الأولى، وبماذا تقدمت الثانية، في حين أن الثانية كانت سابقاً  
دولة عادية وأدنى مرتبة وأقل تطوراً من الأولى؟

أجابني قائلاً: إنني رأيت بنفسني أسباب ذلك، فمن أهم أسباب  
تأخر الدولة الأولى هو: أن العامل فيها صار كسولاً، بحيث إنه يأتي إلى  
محل عمله في الساعة الثامنة صباحاً أو بعدها، ثم يعمل إلى الساعة  
الثانية عشرة من الظهر، ثم يذهب إلى داره لتناول طعامه، ثم يسترخي  
في فراشه، ثم يأتي الساعة الرابعة أو الخامسة عصراً، ويبقى إلى الساعة  
السابعة والثامنة مساءً في محل عمله، ثم يرجع ثانية إلى بيته، أو إلى  
أماكن اللهو والفساد.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ باب المعاش والمكاسب ح ٣٦٣٤.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٨٥ باب كراهية الكسل ح ٢.

وبالنتيجة: فإن العامل في الدولة الأولى صار يشتغل يومياً ست إلى سبع ساعات فقط كحد أقصى، أما العامل في الدولة الثانية، فإنه يشتغل يومياً اثنتي عشرة ساعة بالضبط، وبكل جد ونشاط، يعني أنه يعمل من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة السابعة مساءً - عادة - ومن الطبيعي أن الإنسان الذي يعمل اثنتي عشرة ساعة يتفوق في كل شيء على الذي يعمل ست ساعات فقط، ويتقدم عليه، بل ليس من المعقول أن يتساوى مهندس يعمل ست ساعات، ومهندس آخر يعمل اثنتي عشرة ساعة في الناتج النهائي للعمل، وهو واضح.

### بعد الحرب العالمية الثانية

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية<sup>(١)</sup> - وأنا أتذكرها جيداً - وكنت

---

(١) الحرب العالمية الثانية: هي الحرب التي نشبت في خريف عام (١٩٣٩م) على الأرض الأوروبية، وامتدت إلى قارتي أفريقيا وآسيا بعد ذلك، ودامت حتى صيف عام (١٩٤٥م). ونشب بين ما عرف حينها بدول المحور وهي: ألمانيا وإيطاليا واليابان، ودول الحلفاء وهي: فرنسا وانكلترا والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية والصين، وكان من أسبابها: ارهاق الاقتصاد الألماني بتعويضات الحرب العالمية الأولى. ومن الأحداث التي كان الأثر الكبير في اشتعال الحرب على نطاق عالمي: ضم اليابان لمشوريا، واقتطاعها اقساماً كبيرة من الصين عام (١٩٣٧م) ثم كوريا والفلبين. واجتياح إيطاليا لأثيوبيا، واحتلال ألمانيا لريتانيا عام (١٩٣٦م) وضم النمسا وجيكوسلوفاكيا وأخيراً غزو بولونيا عام (١٩٣٩م)، فاشتعلت الحرب، وشملت أغلب بقاع العالم حتى البحار الواسعة، وكانت من الضراوة والشدة بحيث أصابت العالم بخسائر بشرية فادحة ومروعة، وخسائر مادية كبيرة. وكان نتيجتها اندحار دول المحور بشكل كامل واحتلال أراضيها، وقتل هتلر زعيم ألمانيا،





أتابع أخبارها من الإذاعات وافرؤها في الصحف، كانت ألمانيا وكذلك اليابان قد تحولتا حينها إلى ركاب وخرائب، فقرر العمال في كل منهما<sup>(١)</sup> بعد أن رأوا من تدهور بلادهم الاقتصادي أن يعملوا يوماً أكثر من عشر ساعات، وربما وصل إلى اثنتي عشرة ساعة، ومن الواضح أن العمل في اليوم ثمان ساعات هي في ذاتها متعبة وخاصة بالنسبة لبعض



وموسليني زعيم إيطاليا، وتقسيم ألمانيا إلى شطرين، وطرده اليابان من جميع الأراضي التي احتلتها وأصبحت هي تحت الاحتلال الأميركي. وظهرت في هذه الحرب أسلحة جديدة وفتاكة كالصواريخ والطائرات الحديثة وما أشبه، واستخدم لأول مرة السلاح الذري، حيث ألقيت قنبلتين نوويتين على هيروشيما وناغازاكي في اليابان، فالحقت دماراً رهيباً وخسائر بشرية بمئات الآلاف من البشر بضربة واحدة. وقد اشترك في الحرب حوالي (٩٢ مليون) مجند ومساعد، وقدرت الخسائر البشرية فيها بحوالي (٤٩ مليون) قتيل، غير الخسائر المادية والدمار الذي لحق بالدول التي اشتركت وحتى التي لم تشترك بالحرب.

(١) قيل إن عدد العمال الألمان كان من عشرين مليون إلى ما يقارب خمسة وثلاثين مليون عامل. وإن أحد أسرار تطور الشعبين الألماني والياباني هو قدرتهما على بناء أسس متينة لصناعة جبارة، وتطوير وسائل الإنتاج لتحقيق الاكتفاء الذاتي، وغزو الأسواق العالمية. فقد خرج البلدان من الحرب العالمية الثانية بحالة إفلاس كامل ودمار شامل طال البنى التحتية والمرافق العامة. ولكنهم لم يستسلموا للهزيمة، وشمروا عن السواعد للبناء والتحدي وأقبلوا على العلم وكتبوا شهوراتهم ونزعاتهم الإنسانية، واكتفوا بالحد الأدنى من مقومات الحياة، وحرموا أنفسهم من مختلف أنواع الكماليات إلى أن حققوا المعجزة الاقتصادية، التي حولت ألمانيا واليابان إلى اثنتين من أقوى الدول اقتصادياً.

الأعمال، مثل الأعمال الثقيلة والشاقة، التي تتطلب جهداً بدنياً كبيراً، وكيف بإضافة أربع ساعات أخرى من العمل إليها، ولكن رغم ذلك واصل رجال الأعمال في كل البلدين العمل وهم يقولون: إن هذه الأربع ساعات هي تبرع منا لبناء بلدنا.

ولو أردنا ضبط ما ينجزه هؤلاء الملايين من العمال وحسابه بمعدل عمل قدره ١٢ ساعة يومياً، لاتضح لنا الدور الكبير والمؤثر جداً في بناء البلد وتطويره، فكان هؤلاء يصرفون الزائد من عملهم المقرر في بناء المستشفيات والمستوصفات، والمصانع، والشركات، والمدارس والجامعات، والجسور والشوارع، والدور والبنوك، والثكنات العسكرية والمراكز الحكومية، وسائر الأماكن والمؤسسات الضرورية الأخرى. ومنذ سنة (١٩٤٥ إلى سنة ١٩٧٥م) أي: بعد أن مضت ثلاثون سنة من العمل، وإذا بألمانيا وكذلك اليابان، أصبح كل منهما من أقوى دول العالم صناعياً وأكثرها تطوراً.

### جودة العمل وإتقانه

ثم بعد ثبوت أن العمل وكثرته، عامل من عوامل التقدم والرفي، نرى الإسلام يؤكد على جودة العمل وإتقانه، وعلى الدقة فيه وإحكامه، فالتأكيد الإسلامي يشمل الجانب الكمي والكيفي معاً.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لما مات إبراهيم بن رسول الله صلّى الله عليه وآله رأى النبي صلّى الله عليه وآله في قبره خللاً فسواه بيده، ثم قال: إذا عمل أحدكم عملاً

فليتقن، ثم قال: الحق بسلفك الصالح عثمان بن مضعون»<sup>(١)</sup>.  
وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»<sup>(٢)</sup>.  
وعنه عليه السلام قال: «تصفية العمل خير من العمل»<sup>(٣)</sup>.  
وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا نقول درجة واحدة إن الله يقول: درجات بعضها فوق بعض، إنما تفاضل القوم بالأعمال»<sup>(٤)</sup>.  
وعنه عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزل حتى لحد سعد بن معاذ، وسوى اللبن عليه، وجعل يقول: ناولني حجراً، ناولني تراباً رطباً، يسد به ما بين اللبن، فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأعلم أنه<sup>(٥)</sup> سيُلى ويصل إليه البلاء، ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه»<sup>(٦)</sup>.

### وفي البلاد الإسلامية

أما البلاد الإسلامية فقد تأخرت لأن الأمة والحكومة اشتغلت بالأمانى والشهوات، وتخلت عن العلم والعمل.

(١) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٢٩ ب ٦٠ ح ٣٤٨٣.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨١.

(٣) أعلام الدين: ص ١٨٦ فصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وحكمه.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٨٨ من سورة الأنعام ح ١٤٧.

(٥) أي القبر.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٣٠ ب ٦٠ ح ٣٤٨٤.

فترى بلداً إسلامياً كبيراً قد يصل عدد نفوسه إلى أكثر من مائة مليون نسمة، وكذلك بلدان إسلامية أخرى خرجت من الحرب العالمية الثانية، كما خرجت ألمانيا واليابان وهما بحالة دمار شامل وإفلاس كامل، ولكن تقدمتا وتطورتا، إلا أن البلاد الإسلامية لم تتقدم تقدماً محسوساً، ولم تغسل عن نفسها دمار وغبار الحرب غسلًا كاملاً، بل بقيت إلى يومنا هذا تعدّ من الدول المتخلفة، ومن بلدان العالم الثالث.

ونحن لا نريد الحط من شأن البلاد الإسلامية؛ وإنما الأمر من باب نقد الذات في طريق البناء والتقدم، فتسائل لماذا هذا التأخر والتخلف، هل هو لأن العمال في البلاد الإسلامية لم يتبرعوا بساعات إضافية من العمل، أو لأن رؤسائهم وملوكهم لم يكونوا ممن يفكر بتقدم البلاد والعباد بل كانوا عملاء للأجانب، أو لأن الراعي والرعية معاً قد أعرضوا عن تعاليم الإسلام، تلك التعاليم التي تحيي البلاد والعباد بالتقدم والرقي، والنمو والازدهار؟

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة الأعراف: ٩٦.

## الإسلام يأمر بالعمل

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (٢).

فالإسلام يأمر بالعمل، وينهى عن الكسل والترهل، وعن الركود والخمود، كما أنه يذكرنا بهذه الحقيقة، ويوقفنا على مدى واقعيتها، ويقول: بقدر العمل يحصل الإنسان على النتائج، فلو فرضنا أن هناك دولة فيها من رجال الأعمال خمسون ألف عامل، وأن كل واحد منهم يعمل أربع ساعات، وفي دولة أخرى مجموع رجال أعمالها خمسون ألف عامل أيضاً، ولكن يعمل كل واحد منهم ست ساعات يومياً، فأَيُّ واحد منهما سوف يحصل على تقدم أكبر، ورفي أعظم؟ من البديهي أن رجال الأعمال في البلاد التي يعملون فيها ست ساعات هم الذين يحصلون على رقي أكبر وتقدم أعظم، هذا في الجانب الكمي، وكذلك الأمر في الجانب الكيفي أيضاً..

---

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

(٢) سورة النجم: ٣٩ - ٤٠.

وإليك شاهد آخر على أن التقدم لمن يعمل والتأخر لمن لا يعمل، وذلك من واقع بلادنا الإسلامية، فالمسلمون على كثرتهم وثروتهم، وعلى ما يمتلكونه من طاقات فكرية وجسدية، متأخرون في كل شيء، سياسياً واقتصادياً، واجتماعياً وصناعياً، فلا يستطيعون حتى من صناعة إبرة للخياطة، وإن كانت عندهم بعض الصناعات فهي تقليدية أو تجميع أو ما أشبه، في حين كنا نحن المسلمين يوماً آباء العلم ورواد الفكر، وما ذاك التقدم إلا بالعمل، وما هذا التأخر إلا بالكسل.

### وصايا بليغة

كثير من الشباب وهم قوة المجتمع العملي، وعليهم يعتمد التطور والتقدم في مختلف ميادين الحياة، تراهم اليوم قد انخرطوا في الفساد واللهو واللعب، وأقل ما يقال إنهم كثيرو النوم قليلو العمل.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أنقض النوم لعزائم اليوم»<sup>(١)</sup>.

وكان المرحوم والدي (قدس الله روحه)<sup>(٢)</sup> يوصيني دائماً بقلة النوم،

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٤٠.

(٢) هو المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد الميرزا مهدي بن الميرزا حبيب الله بن السيد آقا بزرگ بن السيد ميرزا محمود بن السيد إسماعيل الحسيني الشيرازي، فوالد السيد الميرزا مهدي هو ابن أخ المجدد الشيرازي صاحب ثورة التبناك الشهيرة، ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة (١٣٠٤هـ) وظل بها إلى سنين شبابه الأولى، تنقل في طلب العلم بين كربلاء وسامراء والكاظمية والنجف، تتلمذ عند أساطين الحوزة ومراجعها منهم الشيخ الآخوند الخراساني والسيد كاظم اليزدي صاحب العروة، والشيخ محمد





رضا الهمداني والسيد علي نجل المجدد الشيرازي، والميرزا النائيني والشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس الله أسرارهم) وكانت إقامته في النجف الأشرف ما يقرب من عشرين عاماً. ثم هاجر إلى مسقط رأسه كربلاء المقدسة، وفي كربلاء كان يحضر بحثاً علمياً مرجعياً في غاية الأهمية، تحت رعاية المرحوم آية الله العظمى السيد الحاج آغا حسين القمي رحمته الله يسمى ببحث ال(كمباني) وكان البحث يضم جمعاً من أكابر ومشاهير المجتهدين في كربلاء المقدسة وكان عبارة عملية عن شورى الفقهاء المراجع. وبعد وفاة السيد القمي سنة (١٣٦٦هـ) استقل بالبحث والتدريس، واضطلع بمسؤولية التقليد والمرجعية الدينية، ورجع الناس إليه في أمر التقليد.

له مواقف سياسية شهيرة أهمها: مشاركته في ثورة العشرين، ووقوفه في الخمسينات بوجه المد الشيوعي وأصدار فتوى بتكفيرهم، كما وقف بوجه المد الشيوعي في عهد حكومة عبد الكريم قاسم في العراق، فبادر رحمته الله إلى استنهاض همم رجال الدين الكبار لاتخاذ موقف جماعي قوي إزاء الخطر الإلحادي على العراق، فالتقى بالمرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم رحمته الله وأصدر الأخير فتواه الشهيرة بتكفير الشيوعية. خلف مؤلفات عديدة منها: ذخيرة العباد، ذخيرة الصلحاء، الوجيزة، تعليقة على العروة الوثقى، رسالة حول فقه الرضا عليه السلام، كشكول في مختلف العلوم.

توفي رحمته الله في الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة (١٣٨٠هـ) وشيع جثمانه في موكب مهيب قلما شهدت كربلاء المقدسة مثله، وانكسفت الشمس يوم وفاته وتشيعه حتى أرخ الشعراء له ذلك، دفن في مقبرة آل الشيرازي في صحن الروضة الحسينية الشريفة، وأقيمت على روحه الطاهرة مجالس الفاتحة والتأبين بمشاركة مختلف فئات وطبقات المجتمع استمرت لعدة أشهر.

للتفصيل انظر كتاب (أسرة المجدد الشيرازي) لنور الدين الشاهرودي وكتاب (أضواء على حياة الإمام الشيرازي)، وكتاب (تراث كربلاء) للسيد سلمان آل طعمة..

ويقول فيما يقول لي في هذا المجال: آخر يا ولدي نومك إلى القبر، فإن الإنسان سوف ينام في القبر يوماً طويلاً، تتهشم منه أضلاعه، وتفسد على أثره جوانبه.

هكذا كان يوصيني والدي رضي الله عنه وكان يذكر لي بعض تجاربه الشخصية وخصوصيات حياته في شبابه فيقول: كنت في أيام شبابي وأنا واحد من الطلبة، لم أترك القراءة ليل نهار، فكنت أطالع في الليل على ضوء القمر، إذا لم يكن المصباح النفطي أو الشمعة أو نحو ذلك متوفراً عندنا. ثم كان سماحته رضي الله عنه يردف كلامه ويقول: بالعمل الدؤوب والسهر الدائم، يتمكن الإنسان أن يصل إلى بعض الدرجات الرفيعة، ويتقدم علمياً ومعنوياً. أما الإنسان الذي يكسل عن العمل، وينشغل ببعض الأمور الجانية، وينام في اليوم عشر ساعات - مثلاً - وبعد ذلك يذهب للتنزه على شاطئ البحر، أو ضفاف النهر، أو أطراف البساتين، فإن من المعلوم: أن هذا الإنسان يتأخر ولا يصل إلى ما يصل إليه ذلك الإنسان المجتهد، الذي يواصل سيره بجد ومثابرة.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من طلب شيئاً ناله أو بعضه»<sup>(١)</sup>.

وصحيح ما قيل: «من جد وجد، ومن زرع حصد».

لذلك ينبغي للجميع: من رجل وامرأة، وتاجر وعامل، ومدرس

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٨٦.



وطالب، ومهندس وطبيب، وغيرهم من أصناف الأمة، التحلي بالعلم والعمل الدؤوب، ونبد الكسل والملل، وأن يضعوا جميعاً نصب أعينهم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾<sup>(١)</sup> أي: من عمل حتى بمقدار وزن ذرة من الخير يرى جزاءه الدنيوي في الدنيا وثوابه الأخروي في الآخرة، وهكذا ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup> فإنه يرى ما يستحق عليه من العقاب في الآخرة فضلاً عن العواقب السيئة في الدنيا أيضاً.

### كثرة النوم في الأحاديث الشريفة

قال رسول الله ﷺ: «ياكم وكثرة النوم، فإن كثرة النوم يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «قالت أم سليمان بن داود لسليمان ﷺ: يا بني، إياك وكثرة النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>. وقال أمير المؤمنين ﷺ: «من خاف البيات قل نومه»<sup>(٥)</sup>.  
وقال ﷺ أيضاً: «من كثر في ليله نومه فاته من العمل ما لا يستدركه

(١) سورة الزلزلة: ٧.

(٢) سورة الزلزلة: ٨.

(٣) الاختصاص: ص ٢١٨ باب حديث المفضل وخلق الأرواح..

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥٥٦ باب النوادر ح ٤٩١٣.

(٥) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٩٤ المجلس ٦٢ ح ٤.

في يومه» (١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «قال موسى عليه السلام - في مناجاته مع ربه - :  
أي عبادك أبغض إليك؟ قال: جيفة بالليل، بطل بالنهار» (٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام - في وصيته لعبد الله ابن جنذب -: «يا ابن جنذب! أقل النوم بالليل والكلام بالنهار، فما في الجسد شيء أقل شكراً من العين واللسان، فإن أم سليمان قالت لسليمان عليه السلام: يا بني إياك والنوم، فإنه يفترق يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم» (٣). وقال عليه السلام أيضاً: «إن الله عز وجل يبغض كثرة النوم، وكثرة الفراغ» (٤).

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «لا تعود عينيك كثرة النوم، فإنها أقل شيء في الجسد شكراً» (٥).

وقال عليه السلام: «إن الله جل وعز يبغض العبد النوام الفارغ» (٦).

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «من أكثر المنام رأى الأحلام» (٧).

## المقوم الثالث: المال

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٩ ق ٣ ب ١ ف ٥ ح ٧٣٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٣٥٤ ب ١١ ح ٥٢.

(٣) تحف العقول: ص ٣٠٢ باب ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في طوال المعاني.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٨٤ باب كراهية النوم والفراغ ح ٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٧ ب ٢ ح ٤٥.

(٦) الكافي: ج ٥ ص ٨٤ باب كراهية النوم والفراغ ح ٢.

(٧) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٩٠ ب ٤٤ ح ٥٦.

إن المال هو الركن الأساسي الآخر - بعد العلم والعمل - في تقدم الفرد والمجتمع، بل يمكن أن يقال: إن المال (الاقتصاد) هو العمود الفقري في هيكلية التقدم؛ والرسول الكريم ﷺ يقول: **«؟؟؟رواية - سيف علي ومال خديجة؟؟؟»** ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب»<sup>(١)</sup>، والمراد بالسيف هو السيف الدفاعي لأن الأعداء أرادوا القضاء على النبي ﷺ وعلى الإسلام بسيفهم حيث شنوا الحروب على المسلمين، فدافع أمير المؤمنين ﷺ بسيفه وحافظ على الدين وقادته وأتباعه.

أجل: إن من الأمور اللازمة على المسلمين هو اهتمامهم غاية الاهتمام، بالمال والثروة (الاقتصاد) والسعي الدؤوب لاكتسابه من مصادره وموارده المشروعة، وصرفه في الحلال، حيث نجد أن الإسلام قد أوصى بذلك، أي بالكسب الحلال، والصراف الحلال.

قال الله العظيم في محكم كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ

(١) شجرة طوبى: ج ٢ ص ٢٣٣ المجلس ٧ في ذكر حالات خديجة أم المؤمنين ﷺ.

(٢) سورة الملك: ١٥.

الله ﴿١﴾ .

وقال سبحانه: ﴿وَأَخْرَوْنَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ﴿٢﴾ .

وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «تسعة أعشار الرزق في التجارة» ﴿٣﴾ .

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: «العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال» ﴿٤﴾ .

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال؛ يكفّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه» ﴿٥﴾ .

وقال عليه السلام: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه» ﴿٦﴾ .  
وقال الإمام الصادق عليه السلام: «سلوا الله الغنى في الدنيا والعافية، وفي الآخرة المغفرة والجنة» ﴿٧﴾ .

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل

---

(١) سورة الجمعة: ١٠ .

(٢) سورة المزمل: ٢٠ .

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٩ ب ١ ح ١٤٥٧٣ .

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٧٨ باب الحث على الطلب والتعرض للرزق ح ٦ .

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٣٣ ب ٧ ح ٢١٩٠٨ .

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٥٦ باب المعاش والمكاسب .. ح ٣٥٦٨ .

(٧) الكافي: ج ٥ ص ٧١ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح ٤ .

لآخرتك كأنك تموت غداً»<sup>(١)</sup>.

وغير هذه الأحاديث كثير مما فيه حث المسلمين على السعي لتحصيل المال الحلال لعمارة الدنيا بما ينفعهم في الآخرة.

### من مزايا المال

في المال مزايا كثيرة ويمكن عدّ مايلي منها:

أولاً: القوة الاقتصادية، فالمسلم إذا كان يملك مالاً أكثر كان أقوى من غير المسلم الذي يملك مالاً أقل، ومن المعروف: أن القوة الاقتصادية تورث القوة السياسية، وأن العزة الاقتصادية تجلب العزة السياسية أيضاً.

ثانياً: القوة الانجازية، فإنه عندما تكون ثروة المسلمين أكثر، تكون قدرتهم على إنجاز المشاريع المفيدة، والمؤسسات الخيرية والاجتماعية النافعة أكثر، وهل من المعقول أن توجد هذه المشاريع وتنمو وتستمر بغير الأموال؟

ثالثاً: القوة السياسية، لأنها تعتمد على مجموعة مقومات منها المال، فإن الرواية الشريفة تقول: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»<sup>(٢)</sup>، والعلو في جميع الميادين حتى الأمور الاقتصادية<sup>(٣)</sup>. وبعبارة أخرى: أن تحقق

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٧٦ ب ٢٨ ح ٢٢٠٢٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٣٤ باب ميراث أهل الملل ح ٥٧١٩.

(٣) للتفصيل راجع كتاب «انفقوا لكي تتقدموا» للإمام الشيرازي الراحل أعلى الله مقامه.

هذه القضية، أي: علو الإسلام، لا يمكن إلا إذا كان عالياً من جميع الجهات؛ ولولا التفوق الاقتصادي لتخلف معنى «لا يُعلى عليه» وهو باطل.

رابعاً: القوة المعنوية، فإن المال كما يكون عوناً على الأمور المادية، فكذلك يكون عوناً على الأمور المعنوية أيضاً، وفي الروايات الشريفة ما يؤكد ذلك، فعن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: نعم العون على تقوى الله الغنى»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «اقرأوا من لقيتم من أصحابكم السلام، وقولوا لهم: إن فلان بن فلان يقرئكم السلام، وقولوا لهم: عليكم بتقوى الله عزوجل، وما ينال به ما عند الله، إني والله ما أمركم إلا بما نأمر به أنفسنا، فعليكم بالجد والاجتهاد، وإذا صليتم الصبح وانصرفتم فبكروا في طلب الرزق واطلبوا الحلال؛ فإن الله عزوجل سيرزقكم ويعينكم عليه»<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «إن ظننت أو بلغك أن هذا الأمر كائن في غد»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧١ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح ١.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١٥٨ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٧٨ باب الحث على الطلب والتعرض للرزق ح ٨.

(٤) أي أمر ظهور الإمام الحجة المهدي المنتظر (صلوات الله عليه وعلى آبائه).

فلا تدعن طلب الرزق، وإن استطعت أن لا تكون كلاً فافعل»<sup>(١)</sup>.

## بين مدح المال والقناعة

وليس المراد من الاهتمام بالمال، والعمل من أجل تكثيره وتحصيل الغنى: التكاثر في الأموال من أي سبب كان، وبأي شكل اتفق؛ سواء كان مشروعاً أو غير مشروع، بل المراد الحصول على المال من الطرق الشرعية، وبذله في الموارد المشروعة، ليعيش صاحبه الحياة الكريمة، ويتمكن من توفير المستلزمات الضرورية لمتطلبات الحياة اليومية فردية واجتماعية، فيأكل ويشرب، ويلبس ويتزوج، ويزكي ويحج، ويتصدق وينفق في سبيل الخير الفردي والاجتماعي، ولتتقدم الأمة وتتطور يوماً بعد يوم.

وهذا لا ينافي استحباب العفاف والكفاف والقناعة كما هو واضح. قال رسول الله ﷺ: «ألا وإن أفضل الناس: عبد أخذ في الدنيا الكفاف، وصاحب فيها العفاف»<sup>(٢)</sup>.

وسياتي معنى العفاف في الحديث التالي عن الإمام الباقر عليه السلام، فليس العفاف أو الكفاف بمعنى الفقر وعدم تحصيل المال، بل العكس لأن صاحب المال هو الذي يتمكن من الكفاف والعفاف. قال الإمام الباقر عليه السلام: «من طلب الرزق في الدنيا استعفاً عن

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧٩ باب الحث على الطلب والتعرض للرزق ح ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٨١ ب ٧ ضمن ح ١٠.

الناس، وتسعيًا على أهله، وتعطفًا على جاره، لقي الله عزوجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أن علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه، حتى رأيت ابنه محمد بن علي عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقيني أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام وكان رجلاً بادناً ثقيلاً، وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله! شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟! أما لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه فرد عليّ السلام بنهر<sup>(٢)</sup>، وهو يتصاب عرقاً فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، أرايت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟! فقال عليه السلام: «لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال، جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عزوجل، أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله».

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧٨ باب الحث على الطلب والتعرض للرزق ح ٥.

(٢) في الارشاد: ج ٢ ص ١٦١ باب ذكر الإمام بعد علي بن الحسين عليه السلام: (ببهر) وهو تابع النفس، يعتري الإنسان عند السعي الشديد والعدو.



فقلت: صدقت يرحمك الله، أردت أن أعظك فوعظتني<sup>(١)</sup>.  
 وقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: والله، إنا لنطلب الدنيا ونحب أن  
 نؤتاها. فقال عليه السلام: «تحب أن تصنع بها ماذا؟». قال: أعود بها على  
 نفسي وعيالي، وأصل بها وأتصدق بها، وأحج وأعتمر.  
 فقال عليه السلام: «ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة»<sup>(٢)</sup>.  
 وقال عليه السلام أيضاً: «غنى يحجزك عن الظلم خير من فقر يملكك على  
 الإثم»<sup>(٣)</sup>.

### لولا مال خديجة عليها السلام

وهنا لا بد من الإشارة إلى بعض النماذج التاريخية لأهمية المال  
 وانفاقه في سبيل الله، مثل انفاق أم المؤمنين، السيدة الوفية، الطاهرة  
 الزكية، خديجة بنت خويلد عليها السلام<sup>(٤)</sup> بجميع أموالها في سبيل الله تعالى،

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧٣ باب ما يجب الإقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرض للرزق ح ١.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح ١٠.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح ١١.

(٤) هي الصديقة الطاهرة أم المؤمنين والمؤمنات السيدة خديجة الكبرى عليها السلام بنت خويلد

بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وعلى

هذا فإن السيدة خديجة تلتقي بنسبها مع النبي العظيم محمد عليه السلام عند الجد الأكبر

(قصي). كان لها المواقف المشهودة في مساندتها ودعمها لنبينا الأكرم عليه السلام ولها منزلة

خاصة عند الله وعند رسوله عليه السلام، وقد ورد في فضلها روايات عديدة، وقد أنفقت

جميع ما تملك من أموالها الكثيرة في سبيل الله عزوجل، قال رسول الله عليه السلام:





«أفضل نساء الجنة أربع : خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون». بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٧٨ ب ٢٣ ح ١٣٣ .  
وعن أبي جعفر ﷺ قال: «حدث أبو سعيد الخدري: إن رسول الله ﷺ قال .. :  
فقلت: يا جبرئيل، هل لك من حاجة؟ قال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله،  
ومني السلام، وحدثنا عند ذلك أنها قالت حين لقاها نبي الله ﷺ فقال لها الذي  
قال جبرئيل، فقالت: «إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى  
جبرئيل السلام». تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٧٩ سورة الإسراء ح ١٢ .  
وعن أمير المؤمنين ﷺ قال: « ذكر النبي ﷺ خديجة يوماً وهو عند نساءه فبكى،  
فقالت عائشة: ما يبكيك على عجوز حمراء من عجائز بني أسد؟ فقال: صدقتني إذ  
كذبتهم، وآمنت بي إذ كفرتم، وولدت لي إذ عقمتم. قالت عائشة: فما زلت أتقرب  
إلى رسول الله ﷺ بذكرها». كشف الغمة: ج ١ ص ٥٠٨ فصل في مناقب خديجة  
بنت خويلد أم فاطمة ﷺ .

وقال العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار: نقلت من كتاب (معالم العترة النبوية) ..  
عن محمد بن إسحاق قال: كانت خديجة بنت خويلد ﷺ امرأة تاجرة ذات شرف  
ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قریش  
قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم  
أخلاقه، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل  
ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله منها رسول الله  
ﷺ .. وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة، وهي يومئذ أوسط قریش نسباً وأعظمهم  
شرفاً وأكثرهم مالاً، وكل قومها قد كان حريصاً على ذلك - على الزواج منها - لو  
يقدر عليه. وبإسناده يرفعه إلى محمد بن إسحاق قال: كانت خديجة أول من آمن بالله  
ورسوله ﷺ وصدقت بما جاء من الله ووازرته على أمره، فخفف الله بذلك عن  
رسول الله ﷺ وكان لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك،



فإنها جعلت كل أموالها وجميع ثروتها في متناول رسول الله ﷺ وتحت تصرفه، وكان ذلك من أهم العوامل الرئيسية في مساعدة الرسول ﷺ في تبليغ الإسلام، وكان لثروتها (رضوان الله تعالى عليها) المبذولة للنبي ﷺ



إلا فرج الله ذلك عن رسول الله ﷺ بها، إذا رجع إليها تشبهه وتخفف عنه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رحمها الله. وعن ابن إسحاق قال: .. وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يسكن إليها. بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٨ ب ٥ ضمن ح ١٢.

نعم، كانت السيدة خديجة ؓ عزيزة عند النبي ﷺ وتمتع بمكانة خاصة في قلبه، فكان يحبها حباً جماً ويعتز بها ويقدر مواقفها الشريفة، والشواهد على ذلك عديدة.

ويكفي دليلاً على عظمتها ومكانتها أنها كانت تخفف عن النبي ﷺ وتسلي خاطره من كل ما كان يلاقه من إيذاء وهوان من مشركي قريش، ولم تسبب له أي أذى أو مشكلة أبداً.

وما طلبت من النبي ﷺ شيئاً أبداً إلا حاجة واحدة فقط وهذه كانت عبر ابنتها الصديقة فاطمة الزهراء ؓ حيث إنها سمعت من النبي ﷺ عن أهوال القبر وما يلاقي الميت فيه، على الرغم من إيمانها العظيم وسابقتها ودرجتها عند الله، إلا أنها كانت تخاف القبر فطلبت من النبي ﷺ أن يكفنها بعباءته الشريفة التي كان يصلي فيها، لكي تشملها الرحمة الإلهية، ببركة رسول الله ﷺ ويرتفع عنها العذاب.

انظر كتاب (المرأة في المنظار الإسلامي) للامام الشيرازي الراحل (ومن المساجد والمزارات في الحرمين الشريفين) للإمام الشيرازي الراحل رحمته الله، وشجرة طوبى: ج ٢ ص ٢٣٢ المجلس السابع في ذكر حالات وصفات خديجة ؓ.

أثراً كبيراً في تعبيد الطريق لنشر الإسلام، وقد ورد عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال: « ~~رواية (سيف علي ومال خديجة)؟؟ ع~~ ما نفعني مال قط ما نفعني مال خديجة عليه السلام وكان رسول الله ﷺ يفك من مالها الغارم والعاني، ويحمل الكل <sup>(١)</sup>، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه، إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة، وكانت قريش إذا رحلت غيرها في الرحلتين، يعني: رحلة الشتاء والصيف، كانت طائفة من العير لخديجة عليه السلام وكانت أكثر قريش مالاً، وكان ﷺ ينفق منه ما شاء في حياتها <sup>(٢)</sup>.

### الإسلام خير للبشرية جمعاء

لقد أراد الإسلام الخير للبشرية جمعاء، ومن هنا أراد العزة للمسلمين، ولو كانت الدنيا بيد المسلمين وكانوا أقوياء أثرياء واعين سعدوا وفلحوا، وأسعدوا الآخرين وجعلوهم من المفلحين، ومن الواضح أنه إذا انسحب المصلحون والأتقياء عن مسرح الحياة سيحل بالتأكيد محلهم المفسدون، بمقتضى سنن الحياة.

ونظير ذلك: غياب رجال الأمن والشرطة عن التواجد في الشوارع

(١) غرم في تجارته مثل خسر، خلاف ربح. والغارم: من يلتزم ما ضمنه وتكفل به. والعاني: الأسير، ومنه: أطمعوا الجائع، وفكوا العاني. والكل: الثقل والعيال ومنه نحن كل على آبائنا، أي: نحن ثقل وعيال على من يلي أمرنا ويعولنا. والكل: اليتيم.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٦٣ ٦٤ الهجرة ومبادئها ومبببت علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ ح ١٨.

والأزقة للمحافظة على الأمن للمحلات والبيوت من السرقة وما أشبهه ، فإنه سوف يحل محلهم السراق واللصوص ، وذلك كما حدث في إحدى البلاد الإسلامية ، فإنه في ليلة واحدة ، ونتيجة لغياب رجال الأمن والشرطة وضعفهم عن القيام بمهمتهم في الحفظ والحراسة ، نهب السراق واللصوص عدداً كبيراً من بيوت الناس ومحلاتهم التجارية ، وسرقوا أموالاً كثيرة ، وسلبوا الناس الأمن والراحة ؛ كل ذلك لأجل غياب رجال الأمن والشرطة عن الساحة ، وحلول السراق واللصوص محلهم ، وهذه سنة من سنن الحياة والكون ، إذ كلما انسحب الحماة والحراس والمصلحون تقدم اللصوص والسراق والمفسدون .

وعليه : فلو أن ساحات العمل وميادينها على اختلاف أنواعها أصبحت بيد الخيرين من الناس وفي حوزة المحسنين ، لعاش المجتمع بكامله عيشة رغداً ، ويحيا المجتمع بكله حياة السعادة ، ولم ير الناس ما ينغص حياتهم ، ولا ما يشقي عيشتهم . أما لو انسحب أهل الخير والإحسان عن ميدان التجارة والصناعة ، وعن ساحات العمل والاجتماع ، وعن مزاولة الاقتصاد والسياسة ، وعن ممارسة التنظيم والتخطيط ، وعن مداولة الثقافة والتعليم ، لجاء غيرهم ليشغل كل هذه الميادين ، وجميع هذا الساحات بالباطل والمشاكل والظلم والاعتداء على حقوق الآخرين .

### الإسلام والاكتفاء الذاتي

إن الإسلام يدعو المسلمين إلى الاكتفاء الذاتي في كل المجالات

والأبعاد، الاقتصادية وغيرها، ومن كل الجوانب والجهات، ويوصيهم به، ويرغبهم فيه، فقد قال رسول الله ﷺ:

«تحت ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، رجل ضارب في الأرض، يطلب من فضل الله ما يكف به نفسه، ويعود به على عياله»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن من شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره»<sup>(٢)</sup>.  
وقال عليه السلام أيضاً: «ما غدوة أحدكم في سبيل الله بأعظم من غدوة يطلب فيها لولده وعياله ما يصلحهم»<sup>(٣)</sup>.

وحكي عن النبي داود عليه السلام: أنه كان يتوخى من تلقاه من بني إسرائيل فيسأله عن حاله؟ فيشني عليه، حتى لقي رجلاً فقال: نعم العبد لولا خصلة فيه، فقال: «وما هي؟» قال: إنه يأكل من بيت المال.  
فبكى داود عليه السلام وعلم أنه قد أتى، فأوحى الله عز وجل إلى الحديد: «أن لن لعبدي داود». فألان الله له الحديد، فكان عليه السلام يعمل كل يوم درعاً يبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاث مائة

(١) عوالي غوالي اللآلي: ج ٣ ص ١٩٤ باب التجارة ح ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٤٢١-٤٢٣ ب ١٥ ضمن ح ٤٠.

(٣) عوالي غوالي اللآلي: ج ٣ ص ١٩٤ باب التجارة ح ٦.

وستين ألفاً، فاستغنى عن بيت المال<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز»<sup>(٢)</sup>.

وسأل هارون بن يزيد الواسطي الإمام الباقر عليه السلام عن الفلاحين؟ فقال عليه السلام: «هم الزارعون كنوز الله في أرضه، وما في الأعمال أحب إلى الله من الزراعة، وما بعث الله نبياً إلا كان زارعاً، إلا إدريس فإنه كان خياطاً»<sup>(٣)</sup>.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «للمسرف ثلاث علامات: يأكل ما ليس له، ويشترى بما ليس له، ويلبس ما ليس له»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من علامات المؤمن ثلاث: حسن التقدير في المعيشة، والصبر على النائبة، والتفقه في الدين» وقال: «ما خير في رجل لا يقتصد في معيشته ما يصلح لا لدنياه ولا لآخرته»<sup>(٥)</sup>.

### مع سلمان المحمدي

روي: أن سلمان المحمدي (رضوان الله عليه) كان يسف الخوص وهو

(١) عوالي غوالي اللآلي: ج ٣ ص ١٩٩ باب التجارة ح ١٨.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٨٦ باب عمل الرجل في بيته ح ١.

(٣) عوالي غوالي اللآلي: ج ٣ ص ٢٠٣ باب التجارة ح ٤٠.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٦٥ ب ٢٢ ح ٢١٩٩٥.

(٥) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٢٣٦ ب ٢١ ح ٤٨.

أمير على المدائن ، ويبيعه ويأكل منه ، ويقول : لا أحب أن أكل إلا من عمل يدي ، وقد كان تعلم سف الخوص من المدينة<sup>(١)</sup> .  
وجاء في كتاب من سلمان<sup>(٢)</sup> إلى عمر بن الخطاب ما يلي : «... وأما

---

(١) مستدرک الوسائل : ج ١٣ ص ٥٩ ب ٢٦ ح ١٤٧٤٨ .

(٢) هو سلمان المحمدي الفارسي ، أبو عبد الله ، أول الأركان الأربعة من حوارى رسول الله ﷺ الذي قال فيه : «سلمان منا أهل البيت». وأصله من إصبهان من قرية يقال لها : جبي . قيل : إن اسمه : مابه بن بوذخشان بن مور سلان بن بهنودان بن فيروز بن سهرک من ولد أب الملك . وقيل : كان اسمه بهبود ، وقيل : روزبه بن خشودان ، وقيل : خشودان .

هاجر في طلب العلم والدين - وهو صبي - وأمن بالنبي ﷺ قبل أن يُبعث ، وعرفه بالصفة والنعت لما هاجر إلى المدينة ، سماه رسول الله ﷺ سلمان بن عبد الله مولى رسول الله ﷺ . ألقابه : سلمان الخير ، وسلمان ابن الإسلام ، وسلمان المحمدي . شهد مع رسول الله ﷺ الخندق وهي أول غزوة غزاها مع النبي ﷺ وقيل : شهد بدرًا وأحدًا . وهو الذي أشار على النبي ﷺ بحفر الخندق في معركة الأحزاب ، والذي أدى إلى انتصار المسلمين على قريش وأحزابها . هذا وقد ورد المدح والثناء عليه بما لا ينكر ، فقد قال رسول الله ﷺ : «سلمان منا أهل البيت» . وقال ﷺ : «لو كان الدين في الثريا لنالته سلمان» . وقال ﷺ أيضاً : «أمرني ربي بحب أربعة وأخبرني أنه يجهم : علي وأبو ذر والمقداد وسلمان» . وروي عن عائشة : كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به الليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ . ولما قبض رسول الله ﷺ لزم أمير المؤمنين ﷺ ولم يبايع أبا بكر حتى أكره على البيعة ، ووجئت عنقه . فعن أمير المؤمنين ﷺ قال : «إن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أدرك العلم الأول والآخر» . وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ : «إن سلمان الفارسي بحر لا ينزف» . وعن الفضل بن شاذان : أنه كان يقول : ما نشأ في الإسلام رجل من كافة الناس أفقه من

←



ما ذكرت أنني أقبلت على سف الخوص وأكل الشعير، فما هما مما يعير به مؤمنٌ ويؤنب عليه، وايم الله يا عمر، لأأكل الشعير، وسف الخوص، والاستغناء عن رفيع المطعم والمشرب، وعن غضب مؤمنٍ حقه، وادعاء ما ليس له بحق، أفضل وأحب إلى الله عز وجل وأقرب للتعوى، ولقد رأيت رسول الله ﷺ إذا أصاب الشعير أكل وفرح ولم يسخطه»<sup>(١)</sup>.

### عليك بالسوق

وذكر أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: ما طعمت طعاماً منذ يومين؟ فقال ﷺ: «عليك بالسوق».

فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله، أتيت السوق أمس فلم أصب شيئاً فبت بغير عشاء؟ قال: «فعليك بالسوق».



سلمان الفارسي. وذكره ابن شهر آشوب في (معالم العلماء): أنه أول من صنف في الإسلام بعد ما جمع أمير المؤمنين ﷺ كتاب الله عز وجل. تولى حكومة (المدائن) في زمان عمر بأمر علي ﷺ وتوفي بها سنة (٣٤) من الهجرة على الأصح، وقيل: سنة ٣٣ أو ٣٤ أو ٣٥ أو ٣٦ أو ٣٧ للهجرة) وعمره إذ ذاك ثلاثمائة وخمسون سنة. وقيل: مائتان وخمسون سنة. وذكر سلمان في المعمرين حيث قيل: إنه أدرك بعض أوصياء عيسى ﷺ وقرأ الكتابين. انظر الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم: ج ٣ ص ١٦ باب السين. وأعيان الشيعة: ج ٧ ص ٢٧٩ ترجمة سلمان الفارسي.

(١) الإحتجاج: ج ١ ص ١٣١ باب احتجاج سلمان الفارسي على عمر بن الخطاب....

فأتى بعد ذلك أيضاً، فقال ﷺ: «عليك بالسوق» فانطلق إليها، فإذا عير قد جاءت وعليها متاع فباعوه بفضل دينار، فأخذ الرجل وجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: ما أصبت شيئاً؟ قال: «هل أصبت من عير آل فلان شيئاً؟». قال: لا. قال: «بلى ضرب لك فيها بسهم وخرجت منها بدینار». قال: نعم. قال: «فما حملك على أن تكذب؟». قال: أشهد أنك صادق، ودعاني إلى ذلك إرادة أن أعلم أتعلم ما يعمل الناس، وأن أزداد خيراً إلى خير. فقال له النبي ﷺ: «صدقت، من استغنى أغناه الله، ومن فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر، لا يسد أذناها شيء». فما رئي سائل بعد ذلك اليوم، ثم قال ﷺ: «إن الصدقة لا تحل لغني، ولا لذي مرة سوي»<sup>(١)</sup>.

### من استغنى أغناه الله

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «اشتدت حال رجل من أصحاب النبي ﷺ فقالت له امرأته: لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته، فجاء إلى النبي ﷺ فلما رآه النبي ﷺ قال: من سألتنا أعطيناها، ومن استغنى أغناه الله.

فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها، فقالت:

---

(١) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٨٩ ب ١ فصل من روايات الخاصة.

إن رسول الله ﷺ بشرٌ، فأعلمه.

فأتاه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: من سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله، حتى فعل الرجل ذلك ثلاثاً، ثم ذهب الرجل فاستعار معولاً، ثم أتى الجبل فصعدَه فقطع حطباً، ثم جاء به فباعه بنصف مد من دقيق، فرجع به فأكله، ثم ذهب من الغد فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتى اشترى معولاً، ثم جمع حتى اشترى بكرين وغلاماً، ثم أثرى حتى أيسر، فجاء إلى النبي ﷺ فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمع النبي ﷺ.. فقال النبي ﷺ قلت لك: من سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله»<sup>(١)</sup>.

### خذ حانوتاً

وعن عبد الرحمن بن الحجاج<sup>(٢)</sup> قال: كان رجل من أصحابنا بالمدينة، فضايق ضيقاً شديداً، واشتدت حاله، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «اذهب، فخذ حانوتاً في السوق، وابسط بساطاً، وليكن عندك جرة من

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٣٩ باب القناعة ح ٧.

(٢) جاء في «رجال النجاشي»: ص ٢٣٨ بالرقم ٦٣٠: «عبد الرحمن بن الحجاج البجلي، مولاهم، كوفي، يباع السابري، سكن بغداد، ورمي بالكيسانية، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام، وبقي بعد أبي الحسن عليه السلام ورجع إلى الحق ولقي الرضا عليه السلام، وكان ثقة ثباتاً وجهاً، وكانت بنت بنت ابنه مختلطة مع عجائزنا تذكر عن سلفها ما كان عليه من العبادة. له كتب يرويه عنها جماعات من أصحابنا.

ماء، والزم باب حانوتك». قال: ففعل الرجل، فمكث ما شاء الله، قال: ثم قدمت رفقة من مصر فألقوا متاعهم، كل رجل منهم عند معرفته وعند صديقه، حتى ملئوا الحوانيت، وبقي رجل منهم لم يصب حانوتاً يلقي فيه متاعه، فقال له أهل السوق: ها هنا رجل ليس به بأس، وليس في حانوته متاع، فلو ألقيت متاعك في حانوته؟ فذهب إليه فقال له: ألقى متاعي في حانوتك؟ فقال له: نعم، فألقى متاعه في حانوته، وجعل يبيع متاعه الأول فالأول، حتى إذا حضر خروج الرفقة بقي عند الرجل شيء يسير من متاعه، فكره المقام عليه، فقال لصاحبنا: أخلف هذا المتاع عندك تبعه، وتبعث إلي بثمانه، قال: فقال: نعم، فخرجت الرفقة، وخرج الرجل معهم، وخلف المتاع عنده، فباعه صاحبنا وبعث بثمانه إليه، قال: فلما أن تهيأ خروج رفقة مصر من مصر بعث إليه ببضاعة، فباعها ورد إليه ثمنها، فلما رأى ذلك الرجل أقام بمصر، وجعل يبعث إليه بالمتاع ويجهز عليه، قال: فأصاب وكثر ماله وأثرى»<sup>(١)</sup>.

### المسلمون: آباء العلم والعمل

لقد كنا نحن المسلمين - وبشهادة التاريخ - آباء العلم والعمل، وأصحاب الثروة والمال، ومن يوم تركنا تعاليم الإسلام في طلب العلم

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٣٠٩ باب النوادر ح ٢٥.

والعمل، ولجاناً إلى الكسل والخمول، فقدنا كل شيء، وخسرنا جميع الخير، مثلاً: إننا نمتلك في بلادنا الإسلامية، ومنذ ما يزيد على خمسين سنة معادن البترول، وآبار النفط التي راحت تنير العالم وتضيئه، وتحرك عجلات صناعته واقتصاده. ومع ذلك بقينا إلى هذا اليوم نفتقد كثيراً من علوم النفط وفنونه، وحتى أنه لو احترق بئر منها لاحتجنا إلى فريق أجنبي لاطفائه، أليس هذا من المؤسف؟ ألا يكفي انقضاء ما يقارب من خمسين عاماً على عمر النفط وعلى اكتشاف البترول، لحصول الوقت اللازم كي نستطيع أن نربي في بلداننا خبراء ومتخصصين لذلك.

وإني أذكر جيداً أنه قبل ما يربو عن ثلاثين سنة تقريباً، حينما كنا في كربلاء المقدسة، احترق أحد آبار النفط في إحدى البلدان الإسلامية، فاستقدموا - بسبب افتقارهم خبيراً في هذا المجال - شركة أجنبية مختصة لإطفائها، وقد تعجب الناس حينما سمعوا أن هذه الشركة كانت تتقاضى أجراً مقداره أربعة آلاف دينار لليوم الواحد<sup>(١)</sup>، وكانت يومية العامل آنذاك في العراق مائة فلس تقريباً، أي: إن هذه الشركة الصغيرة كانت تأخذ ما يعادل أجرة أربعين ألف عامل في بلادنا.

هذا وقد جاء في كثير من الأحاديث الشريفة التأكيد على الخبرة والاستغناء والتقدم العلمي والعملية في كل المجالات لئلا نعتمد على الغير إلى هذه الدرجة، وأن لا نغفل عن العلم والعمل فنحتاج إلى غيرنا

---

(١) ولعل أفراد هذه الشركة المختصة بإطفاء آبار النفط كانوا لا يتجاوزون العشرة.

حتى هذه الدرجة، فعن رسول الله ﷺ: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»<sup>(١)</sup>. ومن مصاديقه الاعتماد على الغير لأنه عمل بغير علم. وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «حسن التدبير ينمي قليل المال، وسوء التدبير يفني كثيره»<sup>(٢)</sup>. ومن الواضح أن الخبرة والإكتفاء الذاتي من حسن التدبير.

وعنه عليه السلام أيضاً: «أما وجه العمارة فقولته تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾»<sup>(٣)</sup> فأعلمنا سبحانه أنه قد أمرهم بالعمارة ليكون ذلك سبباً لمعايشهم، بما يخرج من الأرض من الحب والثمرات وما شاكل ذلك، مما جعله الله معايش للخلق»<sup>(٤)</sup>. فقد أمر الله بالعمارة ييدهم لا يبيد الغير. وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «اللهم فلك الحمد على ما فلقت لنا من الإصباح، ومتعتنا به من ضوء النهار، وبصرتنا من مطالب الأقوات»<sup>(٥)</sup>.

حيث المطلوب بصيرة الإنسان نفسه، كما هو واضح.

### المقوم الرابع: التواضع والتفاهم

إن التواضع والتفاهم هو من العوامل المهمة - بعد العلم والعمل

---

(١) تحف العقول: ص ٤٧ ما روي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٥٤ ق ٥ ب ١ ف ٢ ح ٨١٠٨١.

(٣) سورة هود: ٦١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٩ ص ٣٥ ب ٣ ح ٢٤٠٩٣.

(٥) الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام عند الصباح والمساء.

والمال - في تقدم الفرد والمجتمع، بل يمكن أن يقال: إن كلاً من العلم والعمل والمال، لا يثمر ذلك الثمر النافع والمفيد، إلا إذا كان إلى جانبه تواضع وتفاهم، لذلك فإن التواضع والتفاهم من الدعائم المقومة اللازمة للأمة التي تريد التقدم، وتطمح في الرقي إلى المعالي.

إن العلم وحده، والعمل بمفرده، والمال بانحصاره، ليس طريق التقدم، بل لا بد وأن يكون كل ذلك مقروناً بالتواضع والتفاهم.

وينبغي من أجل التقدم أن يتمتع العاملون بالأخلاق والمكارم والإخلاص، والخصال الحميدة، والصفات الحسنة، التي أمرنا بها القرآن الحكيم، والرسول الكريم ﷺ والأئمة المعصومون عليهم السلام لأن الإنسان العامل يحتاج في تقديم أهدافه من يساعده في أعماله، ويؤازره عليها، ولا يمكنه أن يعمل منفرداً، كما لا يمكنه أن يجذب المجتمع إليه ولا إلى مشروعه، إلا بالخصال الطيبة، والصفات الحسنة، كالتواضع والإحسان والكرم وما شابه ذلك، وهو بحاجة إلى التفاهم مع الغير لكي يجتنب المنازعات والمصادمات وما أشبهه.

### التواضع والتفاهم في الروايات

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يزيد الله بهن إلا خيراً: التواضع لا يزيد الله به إلا ارتفاعاً، وذلل النفس لا يزيد الله به إلا عزاً، والتعفف لا

يزيد الله به إلا غنى» (١).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «التواضع زينة الحسب» (٢).

وقال عليه السلام: «زينة الشريف التواضع» (٣).

وقال عليه السلام - في صفة الملائكة ومدحهم -: «جعلهم الله فيما هنالك

أهل الأمانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه..

وأشعر قلوبهم تواضع إخبارات السكينة» (٤).

وقال عليه السلام في ذكر الحج: «وجعله سبحانه علامةً لتواضعهم

لعظمته، وإذعانهم لعزته» (٥).

وقال الإمام السجاد عليه السلام: «لا حسب لقرشي ولا لعربي إلا بتواضع

ولا كرم إلا بالتقوى» (٦).

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم

قضاء لها أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند

الله من الصديقين، ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام حقًا، ولقد ورد

---

(١) عدة الداعي: ص ١٧٨ ب ٤ ق ٢ الأمر الحادي عشر الاعتراف بالذنب قبل السؤال.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٨٠ ب ١٦ ح ٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٢٥ ب ٥١ ح ١١.

(٤) نهج البلاغة، الخطب: ٩١ من خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح..

(٥) نهج البلاغة، الخطب: ١ من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض

وخلق آدم..

(٦) أعلام الدين: ص ١٦٩ فصل.



على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان: أب وابن، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين يديهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا معه، ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل ليبس، وجاء ليصب على يد الرجل، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل! فتمرغ الرجل في التراب وقال: يا أمير المؤمنين! الله يراني وأنت تصب على يدي؟!!

قال عليه السلام: اقعِد واغسل يدك، فإن الله عزوجل يراك وأخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يخدمك؛ يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها. فقعد الرجل فقال له علي عليه السلام: أقسمت عليك بعظم حقي الذي عرفته وبجلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك، لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر، ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية، وقال عليه السلام: يا بني، لو كان هذا الإبن حضرنى دون أبيه لصببتُ على يده، ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صب الأب على الأب، فليصب الابن على الابن، فصب محمد بن الحنفية على الابن». ثم قال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «فمن اتبع علياً عليه السلام على ذلك فهو الشيعي حقاً»<sup>(١)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١١٧ ب ٥٦ ح ١.

## نموذج من التواضع والتفاهم

عندما كنا في الكويت، كتبت إحدى الجرائد الكويتية: أن في التاريخ الفلاني سيقام احتفال بإحدى المناسبات للفلسطينيين الموجودين في الكويت، وكان هذا النوع من الاحتفالات عندهم ترافقه بعض الأمور غير اللائقة بأيام الحزن من الموسيقى والغناء وما أشبهه، فسألت أحد الأصدقاء - وكان تاريخ الاحتفال ميلادياً - متى يصادف الاحتفال وفق التاريخ الهجري القمري؟ فقال: إنه يصادف يوم عاشوراء.

فقلت له: إن هذا الأمر غريب ومدهش! ففي دولة الكويت المسلمة، وفي يوم مقتل سبط الرسول الكريم ﷺ يقام إلى جانب برامج عاشوراء، احتفال للفرح في مثل هذا اليوم الحزين المفجع؟!

فسألت عن اسم رئيس المنظمة المعدة للاحتفال؟ فقيل: إنه فلان<sup>(١)</sup>. عندها اخترنا ثلاثة من الأصدقاء وقلنا لهم: اذهبوا إليه، وتلطفوا معه في الكلام، وانصحوه بلين ورفق، وقولوا له: إن هذا الاحتفال يصادف يوم عاشوراء، ويتزامن مع أيام الحزن والعزاء على سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي ﷺ سبط الرسول الكريم ﷺ، والناس يقيمون في هذا اليوم مجالس العزاء في الطرقات والشوارع، وفي المساجد والحسينيات، وأحياناً تقوم الحكومة

---

(١) كان رئيس المنظمة المسؤول على إقامة الاحتفال آنذاك اسمه: علي ياسين. الناشر.

بالحداد وحتى الإذاعة والتلفزيون يشتركان في ذلك الحداد، وإن الإمام الحسين عليه السلام لا يخصص الشيعة فحسب؛ بل أهل السنة أيضاً يشتركون في إقامة العزاء والنياحة عليه... وذلك لكي يقوم بتغيير تاريخ الاحتفال.

ذهب أصدقاؤنا الثلاثة إليه وتحدثوا معه، وعندما عادوا قالوا: لقد وجدناه رجلاً متواضعاً متفاهماً، وحينما تكلمنا معه قال لنا: نحن لم نكن نعلم بهذا الموضوع، وإلاّ فنحن من السائرين على طريق الإمام الحسين عليه السلام وسنقوم بإصدار بيان لإلغاء الاحتفال، رغم أننا دعونا الآلاف من الضيوف، وأرسلنا لهم تذاكر الدعوة.

وبالفعل، فقد عرضت إحدى الصحف الكويتية بعد يومين من تاريخ اللقاء المذكور مقابلة رئيس المنظمة المعدّ للاحتفال مع أصدقاتنا له، وكتبت عنه أنه يعلن عن إلغاء الاحتفال، ويقول: إن تاريخ الاحتفال يصادف يوم شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) ولذلك فقد أجّل الاحتفال إلى إشعار آخر.

إن الشاهد من هذه القصة هو: إن هذا الرجل كان إنساناً متواضعاً ومتفاهماً، ولذلك استجاب للنصيحة، وعمل بما فيه تقدمه وتقدم مجتمعه، وإلاّ فإنه كان بمقدوره، عناداً أو مكابرةً أن يقول: إننا وزعنا البطاقات وانتهى كل شيء، وكل من أراد أن يقيم العزاء فله أن يقيم ذلك، أما نحن فسنقيم الاحتفال، إنه كان يتمكن من ذلك، ولكنه عرف أنه بعمله هذا سوف يثير مشاعر أجباء الإمام الحسين عليه السلام وشيعته، وسيؤدّي إلى ما لا تُحمد عقباه، فأحجم بتعقل عما يسبب

النزاع والتشاجر، المؤدي إلى التأخر والتقهقر، وبذلك تمكن من جلب ودّ الجميع في موقفه المتواضع والمتفهم هذا. ولم يكن بموقفه هذا قد احترم مشاعر الآخرين فقط؛ بل احترم شخصه ومجتمعه، وخدم نفسه وأحسن إليها، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾<sup>(١)</sup>، وقد رفعه عمله هذا في أعين الناس.

إذن: فالمطلوب منا جميعاً - بعد العلم والعمل الجاد وتوفير المال الحلال - : التواضع والتفاهم، والتحلي بالأخلاق الحسنة والخصال الحميدة، مسبوقةً بالتخطيط والتنظيم، فإن الذين وصلوا إلى القمر لم يصلوا إليه إلاّ بعد التسلح بعلوم الفضاء، وبعد تطبيق العمل وفقه، وبعد جهد متواصل ودؤوب من التفكير والدراسة والتخطيط والتنسيق، وبعد التواضع الكبير والتفاهم المستمر، وبذل المال الكثير.

وهكذا نحن أيضاً، فإنه لا بدّ لنا - لو أردنا التقدم - أن نتسلح أولاً بعلوم القرآن الحكيم وعلوم أهل البيت عليهم السلام ثم نطبّق ذلك عملياً، ثم نكتسب المال الحلال، ونصرفه في مجال الهدف، ثم نتجمل بالتواضع والتفاهم من أجل تحقيق التقدم والرقي.

هذا وفي الحديث الشريف أنه سئل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله : أي كسب الرجل أطيّب؟ قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة الإسراء: ٧.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٤ ب ٨ ح ١٤٦٣٤.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «في كل وقت عمل»<sup>(١)</sup>.

## خلاصة الكلام

خلاصة الكلام أن مقدمات التقدم أمور عديدة، أهمها :  
أولاً: العلم والثقافة والوعي، فعلى المسلمين أن يتسلّحوا بعلوم القرآن الحكيم وعلوم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

ثانياً: العمل المستمر الدؤوب من أجل تطبيق علوم القرآن الحكيم وعلوم أهل البيت عليهم السلام، وذلك من دون أن يصحبه كسل ولا ملل، ولا سأم ولا تعب.

ثالثاً: الاهتمام بالمال الحلال، فإن المال يكمل العمل ومقوم له، ولا يخفى أن أهمية المال لا لأجل نفسه؛ بل لأنه طريق للعمل في سبيل الله.

رابعاً: تحلي العاملين في هذا الطريق بالصفات الحميدة والأخلاق الحسنة، وفي مقدمتها التواضع والتفاهم، فضلاً عن التوكل على الله، والإخلاص لله، والتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام والأئمة عليهم السلام إلى الله تعالى، فإنهم الوسيلة إلى الله سبحانه، والذريعة إلى رضوانه عز وجل، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «فانقوا الله الذي أنتم بعينه، ونواصيكم بيده، وتقلبكم في قبضته، إن أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه، وقد وكل بذلك حفظة كراماً، لا يسقطون

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٢ ق ١ ب ٦ ف ٤ ح ٢٨٠٠.

حقاً، ولا يشبتون باطلاً»<sup>(١)</sup>. نسأل الله عزوجل أن يوفقنا للعلم والعمل والتقدم والرقي، إنه قريب مجيب.

«اللهم ارزقنا توفيق الطاعة، وبعد المعصية، وصدق النية، وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة، وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهر بطوننا من الحرام والشبهة، واكف أيدينا عن الظلم والسرقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والحيانة، واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة، وتفضل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المتعلمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتباع والموعظة»<sup>(٢)</sup> آمين رب العالمين.

### من هدي القرآن الحكيم

#### العلم من مقومات التقدم:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٨٣ من خطبة له ﷺ في قدرة الله، وفي فضل القرآن، وفي الوصية بالتقوى لله تعالى.

(٢) مصباح الكفعمي: ص ٢٨٠ ف ٢٩ في أدعية مأثورة وفضائلها.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

وقال الله سبحانه: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (٢).

العمل من مقومات التقدم:

قال الله جلّ وعلا: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

وقال الله سبحانه: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤).

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٥).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٦).

---

(١) سورة النساء: ١٦٢.

(٢) سورة القصص: ٨٠.

(٣) سورة التوبة: ١٠٥.

(٤) سورة النجم: ٣٩-٤٠.

(٥) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٦) سورة يونس: ٤١.

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال جل وعلا: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا

---

(١) سورة طه: ١١٢.

(٢) سورة النساء: ١٢٤.

(٣) سورة الأحقاف: ١٣.

(٤) سورة العصر: ٣.

(٥) سورة البينة: ٧.

(٦) سورة التين: ٥ - ٦.



رُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴿١﴾.

التفكير والتخطيط من مقومات التقدم:

قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ \* يُنبِثُ لَكُمْ بِهِ الرِّزْقَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ النَّمْرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَوُجُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٤).

المال والكسب الحلال من مقومات التقدم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُم إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٥).

وقال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا

---

(١) سورة سبأ: ٣٧.

(٢) سورة الجاثية: ١٣.

(٣) سورة النحل: ١٠ - ١١.

(٤) سورة آل عمران: ١٩٠ - ١٩١.

(٥) سورة البقرة: ١٧٢.

أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .

وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢) .

وقال الله جلّ وعلا: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣) .

التواضع والتفاهم، والتشاور من مقومات التقدم:

قال الله عز وجل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٤) .

وقال جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٥) .

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ

(١) سورة المائدة: ٨٧ - ٨٨ .

(٢) سورة البقرة: ١٦٨ .

(٣) سورة البقرة: ٦٠ .

(٤) سورة الزمر: ١٧ - ١٨ .

(٥) سورة الحجرات: ١٣ .

فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿٢﴾ .

وقال سبحانه: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

---

(١) سورة المائدة: ٥٤ .

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩ .

(٣) سورة الشورى: ٣٨ .

## من هدي السنة المطهرة

### العلم طريق التقدم

قال الرسول الكريم ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم،  
ألا إن الله يحب بغاة العلم» (١).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس، اعلّموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال؛ إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسّمه عادل بينكم وضمنه، وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه» (٢).

### العزم على العمل

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا استنبت فأعزم» (٣).  
وقال عليه السلام أيضاً: «ضادوا التواني بالعزم» (٤).

وعن الإمام السجاد عليه السلام قال حينما تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥): «اللهم، ارفعني في أعلى

- 
- (١) الكافي: ج ١ ص ٣٠ باب فرض العلم ووجوب طلبه ح ١.
  - (٢) الكافي: ج ١ ص ٣٠ باب فرض العلم ووجوب طلبه ح ٤.
  - (٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ق ٦ ب ٦ ح ٣ ف ١٠٩٠٥.
  - (٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ق ٦ ب ٦ ح ٣ ف ١٠٩٠٨.
  - (٥) سورة التوبة: ١١٩.

درجات هذه الندبة، وأعني بعزم الإرادة»<sup>(١)</sup>.

### العمل شرط التقدم

قال رسول الله ﷺ: «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «الإيمان قول وعمل»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما المرء مجزي بما أسلف، وقادم على ما قدم»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام: «الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وهو عمل كله»<sup>(٥)</sup>.

وقال عليه السلام: «لن يجزي جزاء الخير إلاّ فاعله»<sup>(٦)</sup>.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إنا لا نغني عنكم من الله شيئاً إلاّ بالورع، وإن ولايتنا لا تدرك إلاّ بالعمل»<sup>(٧)</sup>.

وعن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان؟

---

(١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٥٣ ب ٢١ ح ١٨.

(٢) الفصول المختارة: ص ١٠٧ ح ١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٢٨ ب ٢٢ ح ٦.

(٤) نهج البلاغة، الكتب: ٢١ من كتاب له عليه السلام إلى زياد ابن أبيه.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٤٤ ب ٢ ح ١٢٦٦٠.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٦٦ ق ١ ب ٦ ف ٧ ح ٣٢٥٥.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٨ ب ٢٢ ح ٤٠.

فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله».

قال: قلت: أليس هذا عمل؟

قال: «بلى». قلت: فالعمل من الإيمان؟.

قال: «لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل، والعمل منه»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الإيمان الإقرار والخضوع لله بذل

الإقرار والتقرب إليه به والأداء له»<sup>(٢)</sup>.

### التفكير السليم والتخطيط المنهجي:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فكرة ساعة خير من عبادة سنة، ولا ينال

منزلة التفكير إلا من قد خصه الله بنور المعرفة والتوحيد»<sup>(٣)</sup>.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قدمت الفكر في جميع أفعالك،

حسنت عواقبك في كل أمر»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام: «الفكر في الأمر قبل ملابسته يؤمن الزلل»<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: بالعقل

استخرج غور الحكمة، وبالحكمة استخرج غور العقل، وبحسن

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٨ باب في أن الإيمان مشبوت لجوارح البدن كلها ح ٣.

(٢) تحف العقول: ص ٣٢٩ ما روي عنه عليه السلام في طوال هذه المعاني.

(٣) مصباح الشريعة: ص ١١٤ ب ٥٣ في التفكير.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٨ ق ١ ب ١ ف ١ ح ٥٩٧.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٨ ق ١ ب ١ ف ١ ح ٥٨٨.

السياسة يكون الأدب الصالح، وكان يقول: التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور بحسن التخلص، وقلة التبرص»<sup>(١)</sup>.

## المال والكسب الحلال

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «تعرضوا للتجارات، فإن لكم فيها غنى عما في أيدي الناس، وإن الله عز وجل يحب المحترف الأمين..»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «تجروا برك الله لكم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الرزق عشرة أجزاء، تسعة في التجارة، وواحد في غيرها»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عمارة الطيار قال: قلت لأبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام: إنه قد ذهب مالي، وتفرق ما في يدي وعيالي كثير؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قدمت الكوفة، فافتح باب حانوتك وابسط بساطك، وضع ميزانك وتعرض لرزق ربك».

قال: فلما أن قدم فتح باب حانوته وبسط بساطه، ووضع ميزانه، - قال: - فتعجب من حوله؛ بأن ليس في بيته قليل ولا كثير من المتاع، ولا عنده شيء! قال: فجاءه رجل فقال: اشتر لي ثوباً، قال: فاشترى له، وأخذ ثمنه وصار الثمن إليه، ثم جاءه آخر فقال له: اشتر لي ثوباً،

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٨ كتاب العقل والجهل ح ٣٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ١١ ب ١ ح ٢١٨٤٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٩٢ باب التجارة وآدابها ح ٣٧٢٢.

قال: فطلب له في السوق، ثم اشترى له ثوبا فأخذ ثمنه، فصار في يده، وكذلك يصنع التجار، يأخذ بعضهم من بعض.

ثم جاءه رجل آخر، فقال له: يا أبا عمارة، إن عندي عدلاً من كتان، فهل تشتريه وأؤخرك بثمنه سنة؟

فقال: نعم، احمله وجئني به. قال: فحملة، فاشتراه منه بتأخير سنة، قال: فقام الرجل فذهب، ثم أتاه آت من أهل السوق، فقال له: يا أبا عمارة، ما هذا العدل؟ قال: هذا عدل اشتريته، قال: فبعني نصفه وأعجل لك ثمنه؟ قال: نعم، فاشتراه منه، وأعطاه نصف المتاع، وأخذ نصف الثمن. قال: فصار في يده الباقي إلى سنة، فجعل يشتري بثمنه الثوب والثوبين، ويعرض ويشترى ويبيع، حتى أثرى وعرض وجهه، وأصاب معروفاً<sup>(١)</sup>.

### التواضع والنفاهم، والشورى والتشاور:

قال رسول الله ﷺ: «إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة، فتصدقوا يرحمكم الله، وإن التواضع يزيد صاحبها رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو يزيد صاحبه عزاً فاعفوا يعزكم الله»<sup>(٢)</sup>.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أشرف الخلائق، التواضع والحلم ولين

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٣٠٤ باب النوادر ح ٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٢١ باب التواضع ح ١.



الجانب» (١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه» (٢).

وقال عليه السلام أيضاً: « فيما أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: يا داود، كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون، كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون» (٣).

وسئل الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام: ما حد التواضع، الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟

فقال عليه السلام: « التواضع درجات، منها: أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يجب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين» (٤).

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: «يا معشر الخواريين، لي إليكم حاجة أقضوها لي». قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله. فقام عليه السلام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله؟ فقال: «إن أحق

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٩ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ح ٥١٤٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٢٢ باب التواضع ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٢٣ باب التواضع ح ١١.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٢٤ باب التواضع ضمن ح ١٣.

الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم»، ثم قال عيسى عليه السلام: «بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل»<sup>(١)</sup>.

## الفهرس

٣	..... كلمة الناشر
٦	..... الحكمة والعلم
١١	..... مقومات التقدم
١٢	..... * المقوم الأول: العلم
١٣	..... العلم في الآيات والروايات
١٦	..... من أسباب تأخر الأمم
١٧	..... * المقوم الثاني: العمل
١٩	..... الأمانى بضاعة النوكى
٢٢	..... الكسل عمل سوء
٢٦	..... بعد الحرب العالمية الثانية
٢٨	..... جودة العمل وإتقانه
٣٢	..... وصايا بليغة
٣٦	..... * المقوم الثالث: المال
٤١	..... بين مدح المال والقناعة
٤٣	..... لولا مال خديجة <small>عليها السلام</small>
٤٦	..... الإسلام خير للبشرية جمعاء
٤٧	..... الإسلام والاكتفاء الذاتي

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٧ باب صفة العلماء ح ٦.

- ٤٩..... مع سلمان المحمدي
- ٥٤..... المسلمون: آباء العلم والعمل
- ٥٦..... \* المقوم الرابع: التواضع والتفاهم
- ٦٤..... من هدي القرآن الحكيم
- ٧٠..... من هدي السنة المطهرة